مقدمة

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله وصحبه وبعد :

فتعرض هذه الـ «**دراسات في علم الكلام والفلسفة الإسلامية**» لبعض المشكلات التي تناولها الفكران الكلامي والفلسفي ، ومدى تأثر كل منهما بالتراثين الإسلامي واليوناني .

وتقدم الـ «**دراسات**» في فصلها الأول : **أهمية علم الكلام** بين مباحث الفلسفة الإسلامية من جهة ، وبين علوم الدين من جهة أخرى، وكيف أنَّ هذا العلم من شأنه المحافظة على عقائد المسلمين من تحديات الأفكار الدخيلة، وقيادة مسيرة الحضارة الإسلامية في طريقها الإسلامي، ثم هل نحن بحاجة اليوم إلى علم كلام حيوي نشط للمحافظة على العقائد الإسلامية، التي تتعرض اليوم لمثل ذلك الخطر – إن لم يكن أشد عنفاً – الذي تعرضت له في نشأته الأولى .

فنحن واجدون شبهاً قويةً بين تيارات الإلحاد العصرية، والتيارات الإلحادية التي واجهها المسلمون في عصر نشأة علم الكلام، لذلك نرى أنَّ المسلمين اليوم بحاجة ملحة، إلى قيام علم يقوم بمهمة حراسة العقيدة الإسلامية على الوجه الذي قام به علم الكلام في عصر النشأة .

ولا نريد لعلم الكلام اليوم أنْ ينعزل عن التيارات الثقافية، والعلمية المعاصرة، بل نريده علماً متطوراً يتغلغل في أعماق التيارات الفكرية الحديثة والمعاصرة، ويستوعبها، ويكون قبل ذلك معنياً بدراسة مسائل العقيدة، كما وردت في الكتاب والسنة، وأنْ ينهج في تقرير مسائله منهجاً يستهدف الإقناع بوسائله العقلية، والوجدانية على السواء .

ويتناول الفصل الثاني «**مشكلة خلق العالم عند المعتزلة والأشاعرة**» ، ،كيف أنَّ المعتزلة قسَّمت الموجودات قسمة ثلاثية : قديم ومعدوم ومحدَث، بينما قسمها الأشاعرة قسمة ثنائية : قديم ومحدث ، وبمعنى آخر ، ممكن وضروري، وأنَّ الممكن –

عند الأشاعرة – لابد وأنْ يكون له فاعل، وهو الله تعالى، وأنَّ العالم بجميع ما فيه، جائزٌ أنْ يكون على مقابل ما هو عليه، والجائز محدَث وله محدِث، كائنٌ بعد أنْ لم يكن شيئاً ولا عيناً ولا جوهراً، أحداثه الله تعالى من عدمٍ محض.

ومن هنا نشأ خلافٌ بين المعتزلة والأشاعرة، حول مفهوم الشئ: هل هو الموجود، كما ذهب إلى ذلك الأشاعرة، أم هو المعلوم، كما ذهب المعتزلة.

ويعرض الفصل الثالث، لنفس المشكلة – **خلق العالم – عند فلاسفة المسلمين**، فالله تعالى خالق للعالم ، والعالم مخلوق لله، هذا ما يُسلِّم به الجميع، ولكن هل نستطيع تبعاً لذلك أنْ نقول أنَّ العالم محدَث؟ هذا ما يتمشى مع المنطق، لأنه إذا كان العالم مخلوقاً، فمعنى ذلك أنَّه محدَث، وإذا كان الله خالق العالم، فمعنى ذلك أنَّه تعالى محدثه، لكن البعض الغالب من فلاسفة المسلمين فرَّق بين الخلق والإحداث، وذهب إلى أنَّ الله تعالى خالق العالم، ولكنه، أى العالم، قديم وليس محدثاً، أى أنه لم يزل موجوداً مع الله، ومعنى ذلك أنَّ خلق الله للعالم لم يتم فى الزمان ، لأنَّ الله ليس متقدماً على العالم فى الزمان.

وأتخذ هذا القول عند فلاسفة المسلمين، شكلين، أحدهما يمثله كلٌ من الفارابى وابن سينا، اللذين قالا بالفيض أو الصدور متأثَّرين فى ذلك بأفلوطين، والشكل الآخر، يمثله ابن رشد، الذى انتهى إلى القول أنَّ العالم قديمٌ، بمعنى أنه – العالم – فى «حدوث دائم منذ الأزل» .

أمَّا الفصل الرابع، فيناقش «**مشكلة السببية عند متكلمى المسلمين**»، وإرتباطها بمفهومى الإمكان والقوة، وكيف اختلف المتكلمون والفلاسفة حول طبيعة هذا الإمكان، أهو ذهنى محض، أم هو واقع متحقق ينتزعه الذهنُ استقراءً من الموجودات.

ويتضمن موضوع السببية، البحث فى العلاقة بين متغيرات العالم، وتحديد القوى الفاعلة والمؤثرة فيه، وهذا له أهميته من حيث إرتباطه بموضوع الحكمة والعناية الإلهية من ناحية، وتفسيره لنظام العالم من ناحيةٍ أخرى.

ويُحلِّل الفصل الخامس «مفهوم السببية عند فلاسفة المسلمين» وإرتباطها الوثيق بالفاعلية الإلهية، وكيف ذهب فلاسفة المسلمين إلى القول بالعلاقات الحتمية الضرورية بين الأسباب ومسبباتها، وكيف أنَّ هذا يخدم – فى رأيهم – القول بوجود الغائية والعناية الإلهية.

والله أسأل أنْ وفقنا إلى ما فيه الخير، وهو ولى التوفيق؛

القاهرة – مدينة نصر فى

١٨ محرم ١٤٢١هـ

٢٣ ابريل ٢٠٠٠م

دكتور/ جمال المرزوقى

obeikandl.com